الحِجاج في الكلام وما يتعلق به في كتاب (مفتاح اللّبيب في شرح التهذيب) السيد نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ)

الباحثة: نور فخري حسين

الأستاذ الدكتور: صباح عيدان حمود

Al-Hajjaj in Speech and Related to It in the Book (Miftah Al-Labeb fi Sharh Al-Tahdheeb) By Mr. Nematullah Al-Jazaery (died 1112 AH)

Researcher: Nour Fakhri Hussein

Prof. Dr.: Sabah Idan Hammoud

Summary:

Praise be to God, who does not reach the praise of those who say it, and does not count his bounties, those who strive do not fulfill his right, and may

God's peace and blessings be upon Muhammad, his family and all his companions. And after...

Hajj is defined as a verbal, social, and mental activity that aims to increase the acceptability or refute of a different point of view. Which is: ((a means of persuasion, expressing an opinion, and refuting the opposing opinion)).

The thing that leads to pilgrims is: the difference in perceptions and intellects, for humans have been created differently, each of them has his own thinking and inclinations. People differ in perception, and this is reflected in their grammatical views.

Among the causes of Hajji that Al-Jazairi mentioned in his book are: Al-Hajjaj in Speech and what is related to it, and it included:

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي لا يبلُغُ مِدْحَتَهُ القائلون، ولا يُحصي نعماءَهُ العَادُّون، ولا يؤدي حقَّهُ المجتهدون، وصلى الله على محمد وآلهِ وصحبه أجمعين. و بعد...

عُرِّف الحِجاج: بأنَّه نشاط لفظي، واجتماعي، وعقلي، يستهدف زيادة مقبولية وجهة نظر مختلفة، أو تفنيدها[١]. وهو: ((وسيلة من وسائل الإقناع والتعبير عن الرأي، وتفنيد الرأي المخالف))[٢].

والأمر الذي يؤدي الى الِحجاج هو: الأختلاف في المدارك، والعقول، فالبشر قد خُلِقوا مختلفين فلكلٍ منهم تفكيره، وميوله، فالناس متفاوتين في الإدراك، وهذا ينعكس على آرائهم النحوية.

ومن العلل الحِجاجية التي ذكرها الجزائري في كتابه هي: الحِجاج في الكلام وما يتعلق به، وقد شمل:

١- الحِجاج في الفرق بين الجملة والكلام

تتناول هذه المسألة البحث عن مفهوم الجملة ومفهوم الكلام، والاختلاف بينهما بالترادف والعموم، وانقسم النحاة على قسمين في تناولهم للجملة والكلام، فالقسم الأول: ذهب الى أنَّ مصطلح الجملة

والكلام مترادفان ومنهم ابو علي الفارسي الذي عقد باباً سمّاه: هذا باب ما ائتلف مِنْ هذه الألفاظ الثلاثة كان كلاماً مستقلاً، وهو الذي يسميه اهل العربية الجمل[٣]. فجعل مفهوم الكلام مرادفاً لمفهوم الجملة وكأنهما شيءٌ واحدٌ، والأمر نفسه عند الزمخشري، وابن يعيش، والعكبري[٤]. والقسم الثاني: يرى أنَّهما مختلفان ولكل مصطلحٍ دلالته الخاصة ومنهم: ابن مالك، والرضي الإستراباذي[٥].

ووصف الجزائري مَنْ جعل الكلام والجملة مترادفين بالتوهم، وإنَّهم كمَنْ قد ركبَ متن عمياء، وخبط خبط ناقةٍ عشواء، تخبط كل شيء ولا تبصر امامها، فصاحب المفصَّل يطلق على الكلام بعد إنْ عرض له بأمثلة بأنَّه يُسمى جملة، والأمر نفسه عند صاحب اللّباب بجعله الكلام عبارة عن الجملة المفيدة[]. فتوهم بعضهم إنَّ الكلام والجملة مترادفان، ولكن الحق عند الجزائري هو إنَّ الجملة أعمُّ من الكلام، فالجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي مقصوداً لذاته، أو لم يكن مقصوداً كالجملة الواقعة صفة، أو الواقعة خبراً للمبتدأ، أمَّا الكلام فيتضمن الإسناد الأصلي المقصود لذاته، وهذا الترادف الواقع عندهم يرى فيه الجزائري أنَّه من قبيل: (ويُسمى زيدٌ إنساناً)، مع أنَّ الإنسانَ أعمُّ من زيد[٦].

فبين الجملة والكلام علاقة عموم وخصوص مطلق، وعلى هذا فإنَّ الجملة أعمُّ من الكلام، فالكلام: هو اللفظ المفيد كـ(قامَ علي)، فهو يحوي اللفظ والإفادة معاً، والجملة: هي المركب من اسمين، أو اسم وفعل سواء أفاد أم لَمْ يفدْ نحو: (قامَ محمدٌ)، أو (أنْ قامَ محمد).

٢- الحِجاج في أنواع التنوين

التنوين مِنْ مميزات الإسم وخواصه، ويُرسم على آخر الحرف بشكل ضمتان في الرفع، أو فتحتان في النصب، أو كسرتان في الجر، كـ(جاء رجلٌ)، و(مررتُ بمسجدٍ) أو هو نون صحيحة ساكنة، ومن العلل التي ذكرها النحاة لدخول التنوين على الأسماء أحدها ما أشار إليها سيبويه بقوله: ((وأعلم إنَّ بعض الكلام أثقل مِنْ بعض، فالأفعال أثقلُ مِنْ الأسماء؛ لأنَّ الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكناً، فمن ثمَّ لَمْ يلحقها تنوينٌ ولحقها الجزم والسكون، وإنَّما هي من الأسماء))[٧]. فأحد هذه العلل هي للفرق بين المتمكن الخفيف في الأسماء وبين الثقيل غير المتمكن[٨]. ويُقسم التنوين على اقسام وهي: تنوين التمكن، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين التعويض.

فتنوين التمكن الذي يُسمى بـ(تنوين الأمكنية والصرف) وهو لاحق لفظاً للأسماء المعربة المنصرفة كـ(عليٍّ)، أو نكرة كـ(رجلٍ)، ويرى ابن الحاجب إنَّ تنوين نحو: (رجلٌ) للتمكن لا للتنكير؛ وذلك لبقائه مع العلمية بعد النقل، فلو سُمي به فالتنوين باقٍ على حاله[٩].

وهذا مردودٌ عند الجزائري في نقله عن بعض مشايخه كالسيد هاشم الأحسائي الذي يرى إنَّه لا مانع من أنْ يكون تنويناً واحداً للتمكين والتنكير، فربما حرف يفيد فائدتين كالواو في (مسلمون)، والألف في (مسلمان)، فالتنوين في (رجل) يفيد التنكير ايضاً، فإنَّ سميت بالإسم تمحضت للتمكن[١٠].

أمَّا تنوين المقابلة، فهو ما جُعل في مقابلة النون في نحو: (مسلمون)، فيأتي لاحقاً لجمع المؤنث السالم في نحو: (مسلماتٌ)، قال شارح اللباب في توجيه المقابلة: ((إنَّ جمع المذكر السالم زِيْد فيه حرفان، وفي المؤنث لم يُزدْ إلا حرف واحد؛ لأنَّ التاء موجودة في مفرده، فزيد التنوين فيه؛ ليوازي النون في جمع المذكر السالم))[١١]. وفيه نظر عند الجزائري؛ فلا يرتضي هذا الرأي في إنَّ التاء في (مسلمات) هي التاء نفسها في المفرد والجمع، فعنده إنَّ التاء في المفرد غير التاء التي في الجمع بل غيرها[١٢].

والتنوين في (مسلمات) عند الزمخشري هو للصرف قال: ((وإنما لم تسقط في (عرفاتٍ)؛ لأن التأنيث فيها ضعيف؛ لأن التاء التي كانت فيها لمحض التأنيث سقطت، والتاء فيه علامة لجمع المؤنث))[١٣]. فالتاء ليست علامة للتأنيث عنده وإنما هي والألف للجمع. والأولى عند الجزائري ان يُقال: ان التنوين فيه للصرف والتمكن، وإنما لم يسقط في نحو: (عرفاتٍ)؛ فلو سقط لتبعه الكسر في السقوط وهو خلاف الجمع السالم، فالكسر فيه متبوعٌ لا تابع[١٤].

وزاد بعض النحاة (تنوين الترنم)، وهو اللاحق للقوافي المطلقة وهو بدلٌ من حرف الإطلاق وهو المحصل للترنم ويُستعمل في الشعر والقوافي كما جاء عند ابن يعيش[١٥]، وجاء في نحو:

أقلي اللومَ عاذلَ والعتابَنْ وقولي إنْ أصبْتُ فقد أصابَنْ[١٦]

فالأصل فيه: (العتابا)، و(أصابا) فجيء بالتنوين بدلاً من الألف، وكما دخل تنوين الترنم على الاسم، والفعل في (العتابا، وأصابا) كذلك يدخل على الحرف في نحو:

أزفَ الترحلُ غير أنَّ ركابَنا لَمَّا تزُلْ برحالِنا وكأن قدِ()

فالأصل فيه: (قدي)، وجيء بالتنوين بدل الياء لترك الترنم، فقيل هو بدلٌ من الترنم، واختلفوا في تسميته فقيل هو تنوين ترك الترنم، واختاره عبد اللطيف البغدادي في اللمع الكاملية كما ينقل عنه

الجزائري[١٧]. وقال بعضهم إنَّما جيء بالتنوين؛ ((لوجود الترنم لأن حرف العلة مدة في الخيشوم، فإذا أُبدل فيها التنوين حصل الترنم؛ لأن التنوين غنة في الخيشوم))[١٨].

وزاد الأخفش تنويناً آخر وهو: (التنوين الغالي) وهو اللاحق للقوافي المقيدة، وهي ما كان حرف رويها ساكناً[١٩] كما في:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترقْنْ مشتبهِ الأعلامِ لمّاع الخفقْنْ[٢٢]

فأصله: (المخترق، والخفق)، وعند زيادة التنوين اليه كُسر الحرف الذي قبله؛ لإلتقاء الساكنين، فالتنوين الغالي يدخل على الاسم تارة كما في: (الخفقْنْ، والمخترقْنْ)، وعلى الفعل تارة في نحو:

ما هاج أشجاناً وشجواً قد شَجَنْ من طللٍ كالأتحَمي أنهجَنْ[٢٠]

والحرف تارة أخرى، فهو كـ(تنوين الترنم) غير مختص بالإسم في نحو:

قالت بناتُ العم يا سلمى وإنْ كان فقيراً مُعدِماً؟ قالت: وإنْ[٢١]

وأنكر الزجّاج والسيرافي هذا التنوين وقالا: ((لعل الشاعر كان يريد (إنْ) في آخر كل بيت، فضعف صوته بالهمزة، فتوهم السامعُ إنَّ النون تنوين))[٢٢].

وهذان التنوينان (الترنم، والغالي) لا يعدّهما الجزائري مِن انواع التنوين ويعطي على ذلك دليلاً مخالفاً فيه مَنْ ذهب الى أنهما منْ انواع التنوين الذي يلحق الاسماء، وذلك ثبوتهما مع (ال) كـ(العتابْنْ)، و(المخترقْنْ)، وفي الفعل كـ(أصابْنْ)، و(أنهجنْ)، وفي الحرف كـ(قدنْ)، و(إنْ)، وإنَّهما نونان زيدتا في الوقف[٢٣]. وهو في هذا يتابع ابن هشام في رأيه[٢٤].

الخاتمة:

- كان الحِجاج نتيجة لإختلاف النحاة فيما بينهم في المدارك والعقول.

- يعتمد الحِجاج في الإقناع على حجج، وبراهين للدلالة على صواب ما يدافع عنه المتناظرون.
- كان الحِجاج في الفرق بين الجملة والكلام، والحِجاج في انواع التنوين، من عدة مسائل في الحِجاج ذكرها الجزائري في كتابه.

الهوامش:

١. يُنظر: دراسة الخطاب الحجاجي من منظور الجدل التداولي: احمد عبد الحميد: عالم الفكر: العدد ١٨٢.
٢. النص الحجاجي: اللغة العربية: الجذع المشترك للعلوم: دروس النصوص الدورة الأولى.
٣. يُنظر: المسائل العسكريات في النحو العربي: ابي علي الفارسي: ٦٣ .
٤. يُنظر: شرح المفصل: ١/ ٧٢، ٧٣، ومسائل خلافية في النحو للعكبري: ٣٥.
٥. يُنظر: شرح التسهيل: محب الدين المعروف بـ(ناظر الجيش): مج ١٣٧/١، وشرح الرضي على الكافية: ١/ ٣٣.
٦. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ١٩٥، ١٩٦، وشرح المفصل: ٧٢، ٧٣، واللباب في علل البناء والأعراب: ابي البقاء العكبري: ٤١/١.
٧. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ١٩٥، ١٩٦.
٨. الكتاب : ٢٠/١، ٢١.
٩. يُنظر: ظاهرة التنوين: عوض الجهاوي: ٢٤ .
١٠. يُنظر: أمالي ابن الحاجب: ٨٧٦/١.
١١. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٣،٢٠٤، وشرح الرضي على الكافية: ٤٥/١.
١٢. شرح التصريح على التوضيح: ٢٥/١، ومفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٥ .
١٣. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٥.
١٤. شرح الرضي على الكافية: ٤٦/١ .
١٥. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٥.
١٦. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٥، ٢٠٦، وشرح المفصل :١٥٧/٥.

١٧. ديوان جرير: ٥٨.

١٨. للنابغة في شرح الشواهد الشعرية في أمّات الكتب النحوية:١/٢٨٥، وشرح التصريح على التوضيح:١/ ٢٧.

١٩. يُنظر: مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٧.

٢٠. شرح التصريح على التوضيح:١/٢٦، ومفتاح اللبيب في شرح التهذيب :٢٠٧.

٢١. يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/٣٩٥.

٢٢. ديوان رؤبة بن العجاج: ١٠٤.

٢٣. للعجاج في مفتاح اللبيب في شرح التهذيب: ٢٠٨.

٢٤. ديوان رؤبة بن العجاج : ١٨٦.

المصادر:

١. شرح المفصَّل للزمخشري: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

٢. شرح التسهيل المُسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بـ(ناظر الجيش)، دراسة وتحقيق: أ.د علي محمد فاخر، وأ.د جابر محمد البراجة، وأ.د إبراهيم جمعة العجمي، وأ.د جابر السيد مُبارك، وأ.د علي السنوسي محمد، وأ.د محمد راغب نزَّال، دار السلام، مصر_ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٣. شرح الرضي على الكافية، من عَمَل يوسف حسن عمر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

٤. شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٥. مسائل خلافية في النحو: أبي بقاء العكبري، حققه وقدَّم له: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٦. المسائل العسكريات في النحو العربي: أبي علي الفارسي النحوي، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢

٧. اللباب في علل البناء والإعراب: أبي البقاء العُكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
٨. مفتاح اللَّبيب في شرح التهذيب: السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، تحقيق: محمد لُطف زاده، وأمير النيسابوري، دار الكفيل، كربلاء_ العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠
٩. الكتاب، سيبويه: ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.
١٠. أمالي ابن الحاجب: أبي عمرو عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق: الدكتور فخر صالح سليمان قداره، دار عمّار، عمّان_ الأردن، دار الجيل، بيروت_ لبنان، ١٩٨٩
١١. ظاهرة التنوين في اللغة العربية: الدكتور عوض المرسي جهاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، (د. ت).
١٢. ديوان جرير بتحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦
١٣. شرح الشواهد الشعرية في أُمَّات الكتب النحوية: محمد محمد حسن شُرّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
١٤. ديوان رؤبة ابن العجاج (مجموع أشعار العرب)، أعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة، الكويت، (د. ت).
١٥. مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب: أبي محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن احمد بن عبدُالله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١.
١٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا– بيروت،(د. ت).